

## تصدير النموذج اللبناني

: المتأمل في التغيرات التي عصفت بمنطقة الشرق الأوسط في العقد الأول من الألفية الثالثة يرى أنها تركزت في ثلاث مناطق جغرافية هي فلسطين ولبنان والعراق. في هذه المناطق ثمة مجموعة من المقاربات التي يمكن التوقف عنها، فبين فلسطين والعراق ثمة مقارنة تتعلق بإجماع دولي يتعلق بفكرة احتلال بلد والسيطرة عليه، وفكرة الاحتلال هنا ربما لا تبدو بمعنى الاستيطان كما هي الحال في الحالة الفلسطينية، لكنها في ذات الوقت تعني تغييراً في المشهد السياسي والاجتماعي وهو الأمر الذي حصل وتحقق في كلا البلدين بسبب الاحتلال الأجنبي. وفي الحالة اللبنانية والفلسطينية ثمة مقارنة من نوع آخر تتعلق بصعود وتنامي قوة لاعب غير حكومي هو حماس وحزب الله، لاعبان نوا جذور دينية إسلامية حتى وإن اختلف المذهب. البعد الأهم في المقاربة هو أن كلا اللاعبين من حركات المقاومة في نظر غالبية الرأي العام، وهكذا يقدمان أنفسهما. بين النماذج الثلاثة ثمة مقارنة من زاوية أخرى تتمثل في حضور نفس اللاعبين من الخارج ابتداءً من الولايات المتحدة ودول غربية وانتهاءً بدول إقليمية عربية وغير عربية، مقارنة زادت من تعقيد المشهد السياسي في الحالات الثلاث لدرجة بات من الصعب أن يتوافق الفاعلون السياسيون في الحالات الثلاث دون توافق إقليمي ودولي أولاً.

هذه مقاربات في الشكل وفي الطبيعة، وهي ليست قليلة الأهمية، ويجب الالتفات إلى قدرة كل من هذه الحالات السياسية في التأثير في الأخرى. وهنا أتعرض لقابلية النموذج اللبناني للتصدير سواء إلى المشهد السياسي الفلسطيني والمشهد السياسي العراقي.

الحرب الإسرائيلية في كل من لبنان وغزة عززت بشكل غير مسبوق قوة هذين اللاعبين السياسية، وهنا لا أريد التوقف عند جدلية من هزم ومن انتصر، لأن ما سأقدمه سيوجب على هذا التساؤل تاركاً للقراري حرية الاستنتاج. في حرب صيف 2006 دمرت إسرائيل جانباً كبيراً من البنية التحتية اللبنانية وحصلت على القرار 1701، لكن ذلك لم يهشم حزب الله سياسياً، صحيح أن إطلاق الصواريخ توقف لكن علينا أن نتذكر أن المطلوب إنهاء القدرة الصاروخية وتسليم الحزب أسلحته والعمل على منع تسلحه، وهي كلها أمور لم تحدث. لقد أدار حزب الله وجهه للداخل اللبناني وبدأ تكتيكا جديداً يركز على التركيز على السياسة الداخلية وبدا حضوره أقوى لا سيما إذا ما علمنا أن هناك انتخابات ستجري في شهر مايو 2009. هذا النموذج بدأنا نرى ملامحه في غزة اليوم، فحرب الـ 23 يوماً دمرت غزة لكنها لم تدمر القوى الصاروخية لحماس التي تتحدث عنها إسرائيل ولم يتوقف إطلاق الصواريخ على مدن الدولة العبرية، حماس كسبت تعاطف الشارع العربي الإسلامي وأعدت لنفسها لقب «حركة المقاومة» بقوة أكبر. الأهم أن الحديث بعد توقف الحرب بدأ أكثر تركيزاً على موضوع وقف تزويد حماس بالأسلحة، وحشد العالم قدراته السياسية لبلورة مبادرات تحقق ذلك. الأهم ربما هو تزايد الفجوة بين حماس وبين حركة فتح كنتيجة لهذه الحرب مما زاد في تعقيد المشهد الفلسطيني الداخلي. كل ذلك يحدث في ظل ما أسميته بتصدير النموذج اللبناني إلى غزة، لكن ما بقي هو معرفة ما إذا ما ستجرح كل هذه الجهود في منع تسليح حماس فعليا أو لا، عندها ستصبح المقاربة بالغة الدقة.

في مشهد غير منفصل، يمكن أن نرى نوعاً من المقاربة بين مخاض الانتخابات العراقية والمشهد السياسي اللبناني، فبعد عقد ونصف من الحرب الأهلية قوي مفهوم الوطن لدى القوى السياسية اللبنانية وقدرتها على التعايش مع بعضها، صحيح أن هذا لم ينف وجود بعض الاختلافات، لكن فيما يظهر أن هناك حداً أدنى من الإجماع على عدم الذهاب مرة أخرى لحرب أهلية، لكن لا نعرف إلى سيصمد هذا الإجماع؟ في العراق اليوم ثمة حالة تتبلور في اتجاه تجاوز الطائفة والتقسيم العراقي نحو مفهوم الوطن أي العراق، خطوات لا تبدو سريعة لكنها ربما تكون واعدة نحو إعادة بناء العراق. هذا بالضرورة لا ينفى أن هناك عقبات لكن هذه المقاربة يمكن تسجيلها ومتابعة إمكانيتها نجاحها.

mahjoob@mzweiri.com